

مجلة جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

العدد السابع
ربيع الثاني ١٤١٣

الخوولة عند العرب قراءة لنصوص من التراث العربي

مركز تحقيق التراث
تأليف الدكتور
عبدالرحمن بن إبراهيم الدباسي
جامعة الملك سعود - كلية الآداب
قسم اللغة العربية

كنت أقرأ ترجمة أبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي عند ابن النديم فأورد في جريدة كتبه كتاباً عنوانه «من فخر بأخواله من قريش»^(١) فاستوقفني موضوع هذا الكتاب، ورأيت في موضوع الخؤولة عند العرب موضوعاً طريفاً وجديداً، يستحق الوقوف عنده والتأمل فيه، خصوصاً إذا علمنا أن من العرب من فخر بأخواله أو مدحهم أو مدح بهم، ومنهم من ذمهم أو هجاهم، أو هجي بهم، ومنهم من أقام في أخواله، ومنهم من انتسب إليهم دون آبائه وعشيرته، إلى غير ذلك مما سوف يجليه هذا البحث ويتضمنه.

ثم إن من الباحثين من رأى في احتفاء العرب بخؤولتهم امتداداً لنظام الأمومة عندهم، إذ كانت القرابة فيهم - على حد زعمه - لا تعد إلا من جهة الأم.^(٢) غير أن الشائع المشهور أن العرب أكثر تنوعاً بآبائهم وأعمامهم، وقد قال علقمة بن علاثة لعامر بن الطفيل في منافرتهم: «ولكني أفاخر بك بآبائي وأعمامي»^(٣)، وقال مسكين الدارمي: عمى زُرارة غير مُنتَحَلٍ وأبي الذي حُدِّثَته عمرو^(٤) وفخر العرب بآبائهم وأعمامهم مبثوث في آثارهم لا يحتاج إلى بسط ولا استطراد.

(١) الفهرست، تحقيق رضا - تجدد، طهران ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص ١٠٩.

(٢) ج. ولكن G-Wilken في كتابه «الأمومة عند العرب» انظر مجلة المقتطف ج ١، مجلد ٧٨، ١ يناير ١٩٣١ م، ١١ شعبان ١٣٤٩ هـ، ص ص ٩٤-٩٨.

(٣) أبوالفرج الأصفهاني؛ الأغاني، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة عن طبعة دار الكتب ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م، ٢٨٥/١٦.

(٤) البغدادي؛ الخزانة، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٩ م - ١٩٨٣ م، ٧٢/٣.

الخؤولة في اللغة:

الخال أخو الأم، والخاله أختها، يقال خال بين الخؤولة، وبين فلان خؤولة، وتقول: اسْتَخِلْ خالاً غير خالك، واستخول خالاً غير خالك، أي اتخذ^(٥). ورجل مُخُولٌ، ومُخُولٌ كريم الأخوال، واستخول فلان: بني فلان اتخذهم أخوالاً^(٦). قال أوس بن حجر:

وهم لمقل المال أولاد علة وإن كان محضاً في العمومة مُخُولاً^(٧)
وقال عنتر بن شداد:

وإذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت ألفيت خيراً من مُعِمِّ مُخُولِ^(٨)
وقال ربيعة بن مقروم:

وأخي محافظة عصى عذالك وأطاع لذته مُعِمِّ مُخُولِ^(٩)
وقال الأعلم عمرو بن مالك:

ومن يفتقر في قومه يحمده الغنى وإن كان فيهم ماجد العَمِّ مُخُولاً^(١٠)
ومدح الحجاج بن علاط السلمي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بقوله:

(٥) انظر الجوهري: الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، (خول) ٤/١٦٩٠، وابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ، (خول) ١١/٣٧٧.

(٦) ابن سيده: المخصص، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ، ١٤٩/٣٨ وابن دريد: الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م، ص ٣٠٠.

(٧) ديوانه، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٠هـ، ص ٩١، والمرزباني: الموشح، بعناية محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، ط ٢، ١٣٨٥هـ، ص ٨٢، وابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار المعارف، ط ٢، ١٩٦٧م، ١/٢٠٨.

(٨) ديوانه، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ، ص ٢٥٠، وأسامة بن منقذ: لباب الآداب، تحقيق أحمد محمد شاكر، مصر، المطبعة الرحمانية، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م، ص ٢١٨ والشعر والشعراء ١/٢٥٤.

(٩) الأغاني، تحقيق علي السباعي وآخرين، بيروت، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بدون تاريخ، ١٠٤/٢٢، والخزانة: ٤٣٧/٨.

(١٠) المرزباني: معجم الشعراء بعناية د. ف. كرنكو، القاهرة، مكتبة القدسي، ط ١، ١٩٥٤م ص ٢١١.

لله أي مُدَبِّبٍ عن حرمة أعني ابن فاطمة المَعَمَّ المَخُولَا^(١١)
وقالت العرب: رجل مُقَابِل، ومُقَابِل ومُدَابِر إذا كان كريم النسب من قبل
أبويه. ^(١٢) وقال الجاحظ في شأن قطري بن الفُجَاءة: «فإنه المُقَابِل المدابر والمُعَم
المخول؛ لأن أحواله بنو الحبناء، وأعمامه آل الفُجَاءة»^(١٣). أما الوليد بن يزيد بن
عبد الملك فقد قال مفتخراً:

إني لفي الذروة العليا إذا انتسبوا مُقَابِل بين أحوالي وأعمامي^(١٤)
ولكنهم ربما استخدموا لفظه «المقابل» في غير الشائع المشهور، أي في دناءة النسب
ووضاعته وخوله، ومن ذلك قول لهزم الكاتب في عبدالله بن الأهم، وكان سألَه
فحرمه:

مُقَابِل في اللؤم من خال وعم^(١٥)

على أن الخؤولة قد لا يُقتصر بها على أخ الأم أو أختها، بل ربما امتدت لتشمل
رَهط الأم وعشيرتها، ومن ذلك قول النابغة الجعدي يتوعد الأخطل:
فلولا أن تغلب رَهط أُمِّي وكعبٌ وهو مني ذو مكانٍ
تراجمنا بصدر القول حتى نُنصِّرَ كَأَنَّنا فرسا رَهَّانٍ^(١٦)
ونحو هذا قاله أبو دَهَبَل الجُمحي في قبيلة هُذَيْل، وكانت أمه منهم. ^(١٧)

(١١) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ، ١٥٩/٣.

(١٢) الصحاح: (قبل) ١٧٩٦/٥، و(دب) ٦٥٤/٢، واللسان: (قبل) ٥٣٨/١١ و(دب) ٢٧٢/٤، والهمداني: الألفاظ الكتابية، بيروت، دار الهدى، بدون تاريخ، ص ٣١.

(١٣) البرصان والعرجان، تحقيق عبدالسلام هارون، العراق، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م، ص ٩٦.

(١٤) الأغاني ١٠/٧.

(١٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، شرحه وضبطه أحمد أمين وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط ٢، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م، ١٣٠/٦.

(١٦) الخزائن ٢٧٩/١٠.

(١٧) الأغاني ١١٤/٧، ١١٥.

وقال ابن قتيبة في شأن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ولا نعلم أنه كان لأمته أخ فيكون خالاً للنبي - صلى الله عليه وسلم -، ولكن بنو زهرة يقولون: نحن أحوال رسول الله؛ لأن أمته منهم» (١٨).

بل ربما امتدت الخؤولة لتشمل أحوال الأب وأحوال الأم، فحسان بن ثابت يهجو

أباسفيان بن الحارث بأبيه وخال أبيه، لأنه خاله، فيقول:

عَضَضْتُ بِأَيْرٍ مِنْ أَبِيكَ وَخَالِهِ وَعَضَّتْ بَنُو النَّجَارِ بِالسُّكَّرِ الرَّطْبِ
فَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ أَبِيكَ وَخَالِهِ وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ مُعَاظَلَةِ الْكَلْبِ^(١٩)

والوليد بن يزيد يجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - خاله؛ لأن أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر، وأم عبد الله بن عامر أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم، يقول الوليد:

نَبِيَّ الْهَدَى خَالِي وَمَنْ يَكُ خَالَهُ نَبِيَّ الْهَدَى يَقْهَرُ بِهِ مَنْ يَفَاخِرُ^(٢٠)
وَمَنْ الطَّرِيفُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ أَنَّ الْعَرَبَ رُبَّمَا امْتَدَّتْ بِالْخُؤُولَةِ إِلَى الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ
وَالْحَيَوَانِ، فَفِي قَصِيدَةِ الْبَهْرَانِيِّ قَوْلُهُ:

بَنْتُ عَمْرٍو وَخَالَهَا مِسْجَلُ الْحَيِّ عَمْرٍو وَخَالِي هُمَيْمٌ صَاحِبُ عَمْرٍو

وقد فسره الجاحظ بقوله: «فزعم البهراني أن هذه الجنّة بنت عمرو صاحب المخبل، وأن خالها مسجل شيطان الأعشى... وأما قوله: صاحب عمرو، فكذلك أيضاً يقال إن اسم شيطان الفرزدق عمرو» (٢١). وسئل عبيد الكلابي عن الإبل - وقد أظهر حبها والتعلق بها - أبينها وبينكم قرابة؟ قال: نعم، لها فينا خؤولة (٢٢).

(١٨) المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة، دار المعارف، ط ٢، بدون تاريخ ص ١٢٩، ١٦٦.

(١٩) ديوانه، تحقيق وليد عرفان، بيروت، دار صادر، ١٩٧٤م، ٤٠٠/١.

(٢٠) الأغاني ١/٧، ٦.

(٢١) الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٨٥هـ -

١٣٨٧هـ، ٢٢٥/٦، ٢٢٦.

(٢٢) المصدر نفسه ٤/١٠٠.

تخير أمهات الأبناء وتحري نباهة الأخوال :

وقد عني العرب عناية خاصة بتخير أمهات أبنائهم؛ لأن هؤلاء الأبناء ينزعون - غالباً - إلى أخوالهم، فإذا كان الأخوال من ذوي النباهة والشرف، شرف الأبناء ونهبوا، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء»، (٢٣) وقال أكثم بن صيفي: «المناكح الكريمة مدارج الشرف»، (٢٤) وقال عثمان بن أبي العاص: «الناكح مغترس فلينظر امرؤ أين يضع غرسه»، (٢٥) أما ابن الدمينه فيوجه إلى ضرورة النظر في أخلاق أب الزوج وخالها وفي نسبها:

إذا كنت مرتاداً لنجلك أمه بنفسك فانظر من أبوها وخالها (٢٦)
وقال دعبل بن علي الخزاعي ساخرأ بعداوة أعدائه :

فلو أني بُليت بهاشمي خؤولته بنو عبد المَدَانِ
صبرت على عداوته ولكن تعال فانظري بمن ابتلاني (٢٧)
وفي نقاء الخؤولة ونباهة الخال قالت العرب: «فلان مُعِمَّ مُحُول» (٢٨)، و «فلان محض في العمومة والخؤولة». (٢٩) ومع ذلك فإننا نجد من أبناء العرب الأشراف من

(٢٣) ابن ماجه: السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م، ٦٣٣/١.

(٢٤) الميداني: مجمع الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ، ٢٩١/٣.

(٢٥) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، مصر، مكتبة الخانجي، ط٤، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ٢٦٧/٣.

(٢٦) ابن قتيبة: عيون الأخبار، مصر، المؤسسة المصرية العامة، عن طبعة دار الكتب، بدون تاريخ، ٦/٤.

(٢٧) المبرد: الكامل، بعناية محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، القاهرة، مكتبة روضة مصر، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، ٧٧/٣، ومجمع الأمثال: ٨١/٣، وارجع إلى نظائر هذه النصوص في الأغاني: ٣٤/١، والبيان: ٩٩/٣.

(٢٨) الشعر والشعراء: ٢٥٤/١، ومعجم الشعراء: ٢١١.

(٢٩) الشعر والشعراء: ٢٠٨/١، ومعاهد التنصيص، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، بيروت، عالم الكتب، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م، ١٣٥/١.

كان ابناً لسبئية أو أمة من الحبشيات أو السنديات أو الفارسيات أو الروميات (٣٠). وكانت العرب تسمى الذي أبوه عربي وأمه أعجمية هجيناً، وكانت في الجاهلية لا تورثه. (٣١).

وكانت بنو أمية لا تستخلف بني الإمام، قال عمرو بن مبردة العبدي :
ألم أنحكم أن تحملوا هُجَنَاءكم على خيلكم يوم الرهان فُتَدْرَكُ
وما يستوى المرءان هذا ابن حرة وهذا ابن أخرى ظهرها مُتَشَرَّكُ
وأدركه خالاته فنزعنه ألا إن عِرْقَ السُّوءِ لابد يُدْرِكُ (٣٢)
وهجا جرير بني تغلب فجعل الزنج أكرم منهم خوولة، (٣٣) إمعاناً في إيذائهم وقَدَحَ صفاتهم، وكذلك فعل حكيم بن عياش الكلبي في هجائه لبني أسد. (٣٤)

على أن من أبناء الإمام من فخر بأخواله من الأعاجم، ولعل في ذلك مواجهة للضعف النفسية التي يلقاها بها أبناء الحرائر وهم يفخرون بأصالة خوولتهم وعراقتها. ومن فخروا بأخوالهم الأعاجم من الشعراء عنترة بن شداد، (٣٥) وأبو نخيلة الحماني (٣٦)، وبلال بن جزيير (٣٧)، وابن ميادة، (٣٨) وإسماعيل بن يسار. (٣٩)

(٣٠) انظر ابن حبيب: المنق، حيدر آباد، مطبعة جمعية دائرة المعارف، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ص ٥٠٣ - ٥٠٨، والمحبر، بعناية ايلزه لبختن شتير، حيدر آباد، مطبعة جمعية دائرة المعارف، ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م ص ٣٠٦، ٣٠٧، وابن الكلبي: مخطوط المثالب (نسخة دار الكتب المصرية) ص ٣١ - ٣٤.

(٣١) العقد الفريد: ١٢٩/٦.

(٣٢) العقد الفريد ١٣٠/٦، وعيون الأخبار ٧/٢، ومعجم الشعراء ٢٤٠.

(٣٣) المصدر نفسه ١٣٠/٦ جاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ١٩٠/١، والبيان ٨٢/٤، والكامل للمبرد ١٥٧/٢، ٢٩٥.

(٣٤) رسائل الجاحظ، تحقيق هارون، ١٩٩/١.

(٣٥) لباب الآداب ١٨٣.

(٣٦) الشعر والشعراء ٦٠٢/٢، والبيان ٣٢٥/٣، والكامل للمبرد ١٢٣/٢.

(٣٧) الكامل للمبرد ١٢١/٢.

(٣٨) الأغاني ٢٦١/٢، ٢٦٦.

(٣٩) المصدر نفسه ٤١١/٤.

وتتحرى العرب نجابة الولد وقوته في تباعد أعمامه من احواله في النسب، ويؤيد ذلك الطب المعاصر، وفي الأثر: «اغثيروا لا تُضَوُوا» (٤٠)، وقال الأصمعي: «قال رجل: بنات العم أصبر والغرائب أنجب» (٤١)، وقال جرير لابنه بلال: إن بلالاً لم تَشْنُهُ أُمُّهُ لم يتشابه خالهُ وعمُّهُ (٤٢)،

وقال آخر:

فتى لم تلده بنت عمٍ قريبةً فيَضَوِي وقد يَضَوِي رديمُ القرائب
وقال آخر:

مكنني بيت رفيع وجراً وخال كُعْرَيَانِ النجوم نَزِيعُ (٤٣)،
غير أن قرابة الأعمام والأخوال ليست مثلبة ولا منقصة عند العرب؛ ولهذا مدح النابغة الجعدي المنذر بن مُحَرَّق بقوله:

لدى ملك من آل جفنة، خالهُ وجدَّاه من آل امرئ القيس، أزهر (٤٤)،
والكميت يمدح عبد الملك بن مروان بقوله:

أبوك أبوالخير ابن عائشة التي دعت عمَّها من آل برة خالها (٤٥)،
أما سُحيم بن وثيل الرياحي فيفخر بأن أعمامه وأخواله من بني رباح. (٤٦)

(٤٠) الصحاح ٢٤١٠/٦، واللسان ٤٨٩/١٤ (ضوا).

(٤١) عيون الأخبار ٦٧/٢.

(٤٢) المصدر نفسه ٦٧/٢، والمعاني الكبير لابن قتيبة، صححه سالم الكرنكوي، بيروت، دار النهضة، بدون تاريخ ٥٠٣/١.

(٤٣) البيتان في المعاني الكبير ٥٠٢/١، ونزيع: غريب: أراد بذلك أن خاله ليس بقريب من أبيه فيضوي.

(٤٤) أبوزيد القرشي: جهرة أشعار العرب، تحقيق محمد علي الهاشمي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٧٧٥/٢.

(٤٥) المعاني الكبير ٥٠٦/١، وبيرة: هي بنت مر بن أد ولدت أسد بن خزيمة والنضر بن كنانة.

(٤٦) الأصمعي: الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط ٥، بدون تاريخ، ٢٠، والعقد الفريد ١٩٢/٥، والخزانة ٢٦١/١.

أثر الخؤولة في الملامح والقرائح والطباع :

تنبه العرب إلى آثار الخؤولة في الملامح والقرائح والطباع ، مثل الطول والقصر والبياض والسواد ، والقوة والضعف ، والشجاعة والجبن ، والشعر والخطابة وغير ذلك .

ففي قصة عروة بن الورد مع الرجل الهذلي الذي أعجبه منه فطنته ودهاؤه وفراسته ، ولكنه سرعان ما ينكص ويخدع ، سأله عروة عن سبب ذلك فقال الرجل : «ذلك لأحوال السوء» ، (٤٧) وذكر الجاحظ أبناء الزنجيات ونزوعهم إلى الزنج في البسالة والأنفة ، فذكر خُفَاف بن نُذْبَةَ ، وعباس بن مرداس ، وابنى شداد عنبرة وأخاه هَرَّاسَةَ ، وسُليَلك بن السُّلَكة . (٤٨)

وكان الجراح بن الأسود بن يَعْفُر ضئيلاً ضعيفاً في صباه ، فقال فيه أبوه ، وقد صرعه أحد الصبيان :

فآباء جَرَّاح ذَوَابَّة دارم وأحوال جراح سَرَاءُ بنى نَهْدٍ
وكانت أم الجراح أخيدة أخذها الأسود من بني نهد في غارة أغارها عليهم . (٤٩)
وكان عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله - عنها شديد الأدمة ، قالوا : أتاه ذلك من قبل أحواله آل مظعون . (٥٠)

وتأثير الخؤولة في الاستعدادات والمواهب الأدبية والإبداعية مما لم يخف أمره على العرب ، ففي كتبهم وآثارهم إشارات إلى مثل هذا التأثير من قبل الأخوال ، فقد قال رجل يصف رجلاً من إِيَاد بالعيّ ، وكان أبوه وخاله خطيين :

(٤٧) الأغاني ٨٣/٣ - ٨٥ .

(٤٨) رسائل الجاحظ (تحقيق هارون) ١٩٢/١ .

(٤٩) الأغاني ٢٦/١٣ .

(٥٠) البرصان والعرجان ص ١٠٨ .

أَبوك مُعِم في الكلام ونُحُول وخَالُك وَثَابُ الجراثيم في الخُطْب(٥١)
 وقد ذكروا أثر الخؤولة في نفر من الشعراء كان أخوالهم شعراء فأتاهم الشعر من
 قبلهم مثل زهير أتاه الشعر من قبل خاله بَشَامَة بن الغدير(٥٢)، والأعشى أتاه الشعر
 من قبل خاله المسيّب بن عَلس، وطرفة بن العبد أتاه الشعر من قبل خاله المتلمس
 الضبيعي(٥٣). وخال الفرزدق العلاء بن قرظة الضبيّ شاعر، وكان الفرزدق يقول:
 إنما أتاني الشعر من قبل خالي(٥٤).

وربما عَرَّضُوا ببعضهم؛ لأن أمه غلبت أباه في شبهه فنزع إلى أخواله، ولذا هجا
 ابن قيس الرقيات زياد بن عمرو العتكي بقوله:
 غلبت أمّه أباه عليه فهو كالكَابُليّ أشبه خالَه(٥٥)
 وقال آخر في ابنه الذي نزع إلى خاله:

والله ما أشبهني عصام
 لا خلق منه ولا قوام
 نَمْتُ وَعِرْقُ الخال لا يَنَام(٥٦)

وقال حسان بن ثابت، وقد تزوج امرأة من أسلم فولدت له غلاماً:
 غلام أتاه اللؤم من شطر خاله له جانب وافٍ وآخر أكْشَمُ(٥٧)

(٥١) الكامل للمبرد ٣١/١.

(٥٢) انظر الأمدي: المؤلف والمختلف، ملحق بمعجم الشعراء للمرزباني، تصحيح وتعليق كرنكو، القاهرة، مكتبة
 القدسي، ١٣٥٤هـ، ص ١٦٤، وابن رشيقي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محي الدين
 عبد الحميد، بيروت، دار الجليل، ط ٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ٣٠٦/٢، والخزانة ٣٣٣/٢.

(٥٣) انظر العمدة ٨٧/١، ٨٨، وابن سعيد، نشوة الطرب، تحقيق نصرت عبدالرحمن، الأردن، مكتبة الأقبسى،
 ١٩٨٢م، ٦٥٨، ٦٥٧/٢.

(٥٤) الشعر والشعراء ٤٧٨/١.

(٥٥) الكامل للمبرد ١٥٥/٣، وعيون الأخبار ١٢٢/٤.

(٥٦) الكامل للمبرد ١٣٥/١، وعيون الأخبار ١٢٢/٤.

(٥٧) ديوانه ١٧٨/١.

الخؤولة والعمومة :

ولمكانة الخؤولة عند العرب فإنهم - غالباً - ما يذكرون الأحوال مع الأعمام في معرض المدح أو الفخر أو الهجاء، فالرجل يُذم بأخواله كما يُذم بأعمامه، ويُمدح بأولئك كما يُمدح بهؤلاء، فالزبير بن عبد المطلب قال، وهو يزن أخاه العباس :

أكرم بأعراقك من خالٍ وعمٍّ (٥٨)

وعمر بن الخطاب كان يتوعد عمارة بن الوليد، إن لم يكف عن معايشته بقوله :

والله لولا شعبة من الكرم

وسِطةٌ في الحي من خالٍ وعمٍّ

لضمني الشر إلى غير مضمٍّ (٥٩)

أما العذيل بن الفرخ العجلي فيقول :

إني لأكرمُ شاعرٍ في وائلٍ عمًّا أغرَّ إذا نُسِبتُ وخالاً (٦٠)
والفرزدق يخاطب جريراً بقوله :

بأي أب يا ابن المراغة تبتيغي رهاني إلى غاياتٍ عمِّي وخاليا (٦١)
وقال أعشى همدان :

ألم تعلمي أنني مُغرِقٌ نَماني إلى المجد عمي وخالي (٦٢)

(٥٨) المنق من ٤٣٦، والقالبي : الأمالي، بعناية محمد عبد الجواد الأصمعي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م، ١١٥/٢.

(٥٩) المنق من ١٤٨.

(٦٠) شعر العذيل بن الفرخ، جمع نوري حمودي القيسي، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد ١٩، ١٩٧٦م، ص ٣٤٤، ٣٦٠.

(٦١) أبو عبيدة معمر بن النخعي : كتاب النقائض، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٥م، ١/١٧٢.

(٦٢) الأغاني ٥٢/٦ وارجع إلى نظائر هذا الربط بين الأعمام والأخوال في المصدر نفسه ٢٢٦/٦، ٣٧/١٥، والمفضليات تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ٦٦، بدون تاريخ، ١١٢، ومعجم الشعراء ص ٣٠٤، ٣٤٩، والنقائض ١/٣٣٢، وعيون الأخبار ١/٢٤٠، وجمع الأمثال ٣/٥٢٠، والخزانة ٢/٤١٠، ٤٩٣/٦.

وكان العرب يُفقدون بالأحوال والخالات، كما يُفقدون بالآباء والأمهات والأعمام، ولا يُفقدى المرء إلا بما غلا عليه وعز، وهم يفقدون بالأم والخالة تارة، (٦٣) وبالعم والخال تارة، (٦٤) وربما فدوا بالخالات دون غيرهن. (٦٥) ولعل ذلك راجع إلى ظروف اجتماعية خاصة، ولكنه على أي حال دال على مكانة الخؤولة عندهم.

ومع كل هذا لا نعدم في العرب من يتعصب لأبائه وأعمامه ضد أخواله، ولما شرط عوف بن محلم على عمرو بن حُجر - وكان خطب إليه أم إياس بنت عوف - إن زوجه أن يسمى بنيتها، قال عمرو: أما بنونا فنسميهم بأسمائنا وأسماء آبائنا وعمومتنا (٦٦) ومن العرب من قتل خاله بأبيه، ومن أولئك سماعة بن عمرو الدارمي، وهو الذي يقول في شأنه مسكين الدارمي:

وَقَاتَلَ خَالَهُ بِأَبِيهِ مَنَا سِمَاعَةَ لَمْ يَبْغِ حَسَبًا بِهَالٍ (٦٧)

ومنهم هجرس بن كليب الذي قتل خاله جساس بن مرة بأبيه وقال في ذلك: أصاب أبي خالي وما أنا بالذي أُمِّلُ أمرى بين خالي ووالدي وأوردت جَسَّاسَ بْنَ مُرَّةٍ غُصَّةً إِذَا مَا اعْتَرَتْنِي، حَرْهَا غَيْر بَارِدٍ (٦٨) ومنهم من قاتل أخواله ثأراً لأعمامه وانتقاماً لهم، ومن أولئك الأسود بن يعفر النهشلي، وهو الذي قال: «عض بهن أمه من رأى حق أخواله فوق حق أعمامه» (٦٩)

(٦٣) انظر المفضليات ص ١٦٥، والأغاني ١٣/٢١٤، ١٦/٣٣٧، ١٧/٣٨٩، ٢٢/٢٢٠، وديوان حسان ١/٤٢٤، وديوان الخطبة، تحقيق نعمان أمين طه، القاهرة، مكتبة مصطفى البابي ط ١، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م ص ٣٢٩.

(٦٤) انظر الأصمعيات ١٧٥، والنقائض ١/١٩١، ٣١٠، والأغاني ١٣/٤٧، والحيوان ٥/١٥٩، والمعارف ص ٦١٦، ولباب الأدب ص ٣٧٩، ٤٠٢، والخزانة ٤/٤٩٠، ٨/١٨٥.

(٦٥) الأصمعيات ص ٢٠٠، والمعاني الكبير ٢/٩٠٥، والخزانة ٩/٣٧٩.

(٦٦) العقد الفريد ٦/٨٣.

(٦٧) النقائض ٢/٦٨٠.

(٦٨) معجم الشعراء ص ٤٨٩، والأغاني ٥/٦١، ٦٢، ونشوة الطرب ٢/٦٠٧، ٦٤١ - ٦٤٢.

(٦٩) الأغاني ١٣/٢٢.

وقال رجل جرّمي يتوعد أخواله :

ونبئت أخوالي أرادوا عمومتي بشنعاء فيها ثامِلُ السُّمِّ مُنْقَعاً
سأركبها فيكم وأدعى مُفَرِّقاً وإن شئتُم من بعد كنتُ مُجَمَّعاً (٧٠)
وفي أمثالهم «تباعدت العمة من الخالة» و «أمرَ مبكياتك لا أمرَ مضحكاتك»
وكلاهما في ترجيح جانب العمومة على جانب الخؤولة. (٧١)

صور من علاقات العرب بأخوالهم :

قد تكون علاقات بعضهم بأخواله علاقات ود ومحبة وصفاء ، وقد تكون علاقات
تباغض وتعادٍ وخصومة ، والظروف الاجتماعية هي التي تشكل هذه العلاقات وتلونها
بأشكال مختلفة ، فعلاقتهم بأخوالهم قد تبلغ حد الانتساب لهم والانتفاء إليهم ، وفي
الحديث الشريف : «ابن أخت القوم منهم أو من أنفسهم» (٧٢) و «الخالة بمنزلة
الأم» (٧٣) ، والحديث الأول يعني الارتباط بالأخوال والتلاحم معهم ، ولا يعني
الانتساب إليهم ، والولد يدعى لأبيه «ادعوهم لأبائهم» (٧٤) غير أننا نجد في العرب -
وخصوصاً في الجاهلية - من يدعى لأخواله وينسب إليهم ، فأبو أزيهر ابن أنيس
الأزدي ، كانت دوس أخواله ، وكان لا يعرف إلا بالدوسي ، (٧٥) والحارث ابن أبي شمر
الأعرج ، ملك غسان ، الذي يقال له الجفني ، وليس بجفني ، ولكن أمه من بني
جفنة (٧٦) . وقال مُرَّة بن مُحَكَّان :

(٧٠) الحيوان ٤٦٨/٣ ، ومعجم الشعراء ٣٢٢ وروايته فيه «أرادوا نقيصتي» .

(٧١) مجمع الأمثال ٤٩/١ ، ٥٠ ، ٢٣١ .

(٧٢) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبدالعزيز بن باز وآخرين ، القاهرة ، المطبعة
السلفية ، ١٣٨٠هـ ، ٤٨/١٢ ، وعبون الأخبار ٨٥/٣ ، ورسائل الجاحظ (تحقيق هارون) ١٣/١ .

(٧٣) فتح الباري ٣٠٤/٥ ، ٤٩٩/٧ .

(٧٤) سورة الأحزاب آية : ٥ .

(٧٥) المنقذ ص ٢٣٥ .

(٧٦) العقد الفريد ٣٠٢/٣ .

أنا ابن مخك أنخوالي بنو مطرٍ أنمى إليهم وكانوا معشراً نُجَبَا (٧٧)
ومعاذ بن صرم الخزاعي ، كانت أمه من عك ، وهو القائل :
«خزاعة أجدادي وأنمى إلى عك» (٧٨)

ومن المتتبعين لأخوالهم أبو عثمان المازني العالم النحوي المشهور ، وكان ينسب لبني
مازن بن شيبان ؛ لأن أمه منهم . (٧٩)

على أن بعضهم قد أقام في أخواله ولم ينسب إليهم مثل زهير بن أبي سلمى ، وأبوه
أبوسلمى (٨٠) ، وأبوزيد الطائي (٨١) ، وعامر بن الملوح الكناني ، (٨٢) ، وسليمان بن
عبد الملك بن مروان . (٨٣)

وربما لجأ نفر منهم إلى أخواله حينما يشعر بالخطر يحرق به أو يهدد حياته وماله فإذا
هو ميمم نحوهم يلتمس عندهم السلامة والأمن ، ومن هؤلاء الذين لجأوا لأخوالهم
فاستنصروهم ، وكان أخوالهم لهم مغيثين ناصرين عبد المطلب بن هاشم إذ نصرته
أخواله من بني النجار وخزاعة (٨٤) ، وأبو طه بن عبد المطلب بن هاشم حين طلب في
سرقة غزال الكعبة . (٨٥)

وفر الجارود العبدى بإبله إلى أخواله من بني شيبان ، (٨٦) واستعدى قيس بن حسان

(٧٧) معجم الشعراء ٣٨٣ ، والشعر والشعراء ٦٨٦/٢ .

(٧٨) مجمع الأمثال ٨٦/٢ ، ٨٧ .

(٧٩) الاشتقاق ٣٥١ .

(٨٠) الأغاني ٢٩١/١٠ ، والمؤتلف والمختلف ١٦٤ .

(٨١) الشعر والشعراء ٣٠١/١ .

(٨٢) الأغاني ٦١/٢٢ .

(٨٣) المعارف ص ٣٦٠ .

(٨٤) المنقذ ص ٨٥ ، ٨٨ .

(٨٥) المصدر نفسه ص ٦٦ ، والاشتقاق ص ١٢١ .

(٨٦) المعارف ص ٣٣٨ .

ابن عمرو بن مرثد أخواله بني مجاشع على حَرِّي بن ضمرة، (٨٧) وهمت بنو كلاب بقتل عامر بن يزيد بن الملوخ فمنعته أخواله من بني نمير (٨٨)، واعتصم عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - بأخواله من بني هلال فمنعوه عندما خرج إلى المدينة من البصرة، (٨٩) ومنعت علي بن عبدالله بن عباس أخواله من كندة حينما أراد مسرف بن عقبة المري على المبايعة ليزيد بن معاوية، حتى قال علي فيهم:

أبي العباس قَرُمُ بني قصي وأخوالي الكرام بنو وَلِيعَه
هم منعوا ذِمَارِي يوم جاء كَتَائِبُ مُسْرِفٍ وبنو اللكيعة (٩٠)
بل ربما توجهت قبائل كاملة تطلب أخوالها طلباً للأمن والسلامة كما فعلت بنو عبس «حين استعظمت غطفان قتل حذيفة بن بدر، فعرفت عبس ألا مقام لها بأرضهم، فخرجت متوجهة نحو اليامة تطلب أخوالها من بني حنيفة» (٩١).

وربما أجار أبناء الأخوات على أخوالهم وشفعوا عندهم فَشَقُّعُوا، كما وقع لرجل من بني سعد بن عوف جار لبني ربيعة بن عجل، أكلوا إبله، فسأل في قومه حتى أتى الأسود بن يعفر، وكان بنو عجل أخواله، فقال الأسود لأخواله:
يا جَارِ طَلْحَةَ هَلْ تَرُدُّ لَيْتُوتَه فَتَكُونُ أَدْنَى لِلوفاء وأكرما
تالله لو جاوَرْتُمُوهُ بأرضه حتى يفارقكم إذا ما أحرما
فبعثت أخواله من بني عجل بإبل طلحة إليه، وقالوا: أمّا إذ كنت شفيعه فخذها،
وتول ردها لتحرز المكرمة عنده دون غيرك. (٩٢)

ولذا نجد من أبناء الأخوات من يراعون للأخوال حق خوولتهم ويحفظون لهم صلة

(٨٧) النقائض ٢/٩٤٣، ٩٤٥، ١٠٩٦.

(٨٨) الأغاني ٢٢/٦١.

(٨٩) المصدر نفسه ١٢/٣٠١.

(٩٠) معجم الشعراء ص ٢٨١، والكامل للمبرد ١/٢٦٠.

(٩١) مجمع الأمثال ٢/٥١٦.

(٩٢) الأغاني ١٣/٢١.

قرابتهم، فيذبون عن أحسابهم، ويدفعون عنهم حينما يظلمون أو يضامون، ولهذا فقد قال معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - لعمر بن العاص - رضي الله عنه - وقد دخل عليه وبين يديه ابنته عائشة، فقال له عمرو انبذها عنك - قال: لا تقل ذاك ياعمرو، فوالله ما مَرَضَ المرضى، ولا نذب الموتى، ولا أعان على الأعداء مثلهن، ورب ابن أخت قد نفع خاله. (٩٣). ومن وفوا لأخوانهم واستبسّلوا لأجلهم عمرو بن عدي اللخمي الذي قتل الزباء بنت عمرو بخاله جذيمة الأبرش، (٩٤) وجساس بن مرة الذي قتل كليب بن وائل حينما أساء إلى خالته البسوس، (٩٥) ومنهم زهير بن أبي أمية بن المغيرة، وكانت أمه عاتكة بنت عبدالمطلب، وهو الذي نقض صحيفة قريش في مقاطعة بني هاشم رعاية لحق خوّلثهم، ولذا قال فيه أبوطالب:

ونعم ابنُ أخت القوم غير مكذب زهيرٌ حُساماً مفرداً من حمائل
أشُم من الشُّمِّ البهاليل ينتمي إلى حسب في حومةِ المجد فاضل (٩٦)

وكانت المهاجاة بين النابغة الجعدي وابن الحيا القشيري بسبب أن ابن الحيا هجا النابغة وهجا أخواله من الأزد، (٩٧) ولقي فضالة اليربوعي - وكانت أمه من بني سليط - جريراً فقال له: أتشتم أخوالي - يريد المهاجاة بين جرير وغسان السليطي - والله لأقتلنك، (٩٨) وشفعت امرأة من كندة، أخوالها بنو أسد، شفعت لأخوالها عند الحارث الكندي، وكانوا قتلوا ابناً لمعاوية بن عمرو، فقالت له:

أبيت اللعن هبهم لي فإنهم أخوالي، قال: هم لك، وأعتقهم (٩٩)، وقتل صخر بن

(٩٣) العقد الفريد ٤٣٨/٢.

(٩٤) الأغاني ٣١٢/١٥ - ٣٢١، ومعجم الشعراء ص ٢٠٥، ٣٢٩، وجمع الأمثال ٤١٤/١.

(٩٥) الأغاني ٣٥/٥ - ٦١.

(٩٦) السيرة ٢٩٨/١، ١٤/٢ - ١٥.

(٩٧) الأغاني ١٣/٥.

(٩٨) النقائض ٣١/١.

(٩٩) مجمع الأمثال ٣٤٦/٢.

عمرو بن الشريد دريد بن حرملة الغطفاني، فطلبتة غطفان فعارض دونه أبوشجرة بن عبدالعزي، وكانت أمه الخنساء أخت صخر، وصخر خاله فرد الخيل عنه حتى نجا. (١٠٠) وقال كسرى لإياس بن قبيصة - وقد أراد أن يوقع بيكر - أنت رجل من العرب، وبكر أخوالك، فأنت تتعصب لهم ولا تألوهم نصحا. (١٠١) وقد أنذر النعمان بن زرعة أخواله من بني عجل غزو الفرس إياهم، وقال لهم: إنكم أخوالي وأحد طرفي، وإن الرائد لا يكذب أهله، وقد أتاكم ما لا قبل لكم به من أحرار فارس وفرسان العرب. (١٠٢)

وقال الحارث بن همام:

إني وأخوالي بني عائش كاليث إذ يَمْنَعُ أَشْبَالَه (١٠٣)
وقال مَعْدَان بن جَوَّاس السَّكُونِي:

تداركت أخوالي من الموت بعدما تفانوا ودقوا بينهم عِطْرَ مَنْشِمٍ (١٠٤)
وقال السُّلَيْك بن السُّلَكَة:

أشاب الرأس أني كل يوم أرى لي خالَةً وسط الرحال
يشق عليّ أن يلقين ضيماً ويعجزن عن تَخْلُصِهِنَّ مالي (١٠٥)

وقال عِلْبَاء بن أرقم اليشكري:

أَخَوْفُ بالنعمان حتى كأنما قتلت له خالاً كريماً أو ابن عم (١٠٦)
ومن المعروف والشائع أن العرب تفخر بأخوالها وتعتمد بهم في مواقف الخصومة

(١٠٠) العقد الفريد ١٦٤/٥.

(١٠١) الأغاني ٦١/٢٤.

(١٠٢) المصدر نفسه ٦٤/٢٤، ٦٧.

(١٠٣) معجم الشعراء ص ٢٠٨.

(١٠٤) المصدر نفسه ص ٤٠٧.

(١٠٥) الكامل للمبرد ١١٨/٢، ونشوة الطرب ٤٣٤/١.

(١٠٦) الأصمعيات ص ١٥٩.

والمتنافرة والمتناظرة، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في شأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

«هذا خالي فليرني امرؤ خاله» (١٠٧)

وقال الأحنف بن قيس في خاله الأخطل بن قرط الباهلي : «ومن له خال مثل خالي» (١٠٨) ومن الشعراء الذين أشادوا بأخوالهم وفخروا بهم وأثنوا عليهم خيرا، لبيد بن ربيعة إذ يقول :

وشارف في قرى الأرياف خالي وأعطى فوق ما يُعطي الوفود
وخالي حذيم وأبو زهير وزنباع ومولاهم أسيد (١٠٩)
وأبولهب عبدالعزيز بن عبدالمطلب بن هاشم في قوله :

إذا القرشي لم يضرب بعرق خزاعي فليس من الصميم (١١٠)

وعوف بن الأحوص الذي يقول :
ولكن نلت مجد أب وخال وكان إليهما ينمى العلاء (١١١)

وكعب بن الأشرف في قوله :
رب خال لي لو أبصرته سبط المشية أباء أنف
لين الجانب في أقربه وعلى الأعداء كالسم الذعف (١١٢)

(١٠٧) الترمذي : السنن وهو الجامع الصحيح ، ضبطه وصححه عبدالرحمن محمد عثمان ، المدينة المنورة ، المكتبة السلفية ، ط ٢ ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م ، ٣١٣/٥ ، والمعارف ص ٢٤١ وروايته فيه : «هذا خالي فليأت كل رجل بخاله» .

(١٠٨) المعارف ص ٤٢٣ .

(١٠٩) شرح ديوان لبيد ، تحقيق إحسان عباس ، الكويت ، وزارة الإعلام ، ط ٢ ، ١٩٨٤ م ص ٣٩ ، ٤٠ والمشاركة : ولاية الجباية على الأرياف ، وكل هؤلاء الذين ذكرهم عسيون من أخواله .

(١١٠) الزمخشري : ربيع الأبرار ونصوص الأخبار ، تحقيق سليم النعيمي ، بغداد ، مطبعة العاني ، بدون تاريخ ٥٣٣/٣ .

(١١١) الفضليات ص ١٧٥ .

(١١٢) معجم الشعراء ص ٣٤٣ .

وشبيه به قول حسان بن ثابت :

رب خال لي لو أبصرته سبط المشية في اليوم الخصر
يوقد النار إذا ما أطفئت يُعمل القدر بأثاج الجزر(١١٣)

ولعل حسان بن ثابت والفرزدق من أكثر الشعراء وأشهرهم فخراً بأخوالهما فحسان
يفخر بأخواله من بني كعب فيقول :

جدى أبو ليلى ووالده عمرو وأخوالي بنو كعب(١١٤)
وقال - وتزوج امرأة من الأنصار فغيرته بأخواله - وكان حسان يحب أخواله ويغضب

لهم :

سألت حسان من أخواله إنما يُسأل بالشيء الغُمر
قلت أخوالي بنو كعب إذا أسلم الأبطال عورات الدُّبر(١١٥)

أما الفرزدق فهو فخور بأخواله من بني ضبة، وهو كثير الإشادة بهم، وخاصة في
نقائضه مع جرير، ومن فخره بهم قوله :

وضبة أخوالي هم الهامة التي بها مُضِرٌّ دَمَاعَةٌ للجماجم(١١٦)

وقوله أيضاً :

يابن المراغة أين خالك إنني خالي حُبَيْشٌ ذو الفِعال الأفضَلُ
خالي الذي غَصَبَ الملوك نفوسهم وإليه كان حباء جَفَنَةً يُنْقَلُ(١١٧)

(١١٣) ديوان حسان ١/٣٠٧، والأغاني ٣/١٥ - ١٨، والبرصان والعرجان ص ٢٣٨.

(١١٤) الأغاني ٣/١٨.

(١١٥) ديوان حسان ١/٣٠٧ وانظر نهاذج آخر من فخر حسان بأخواله في ديوانه ١/٤٠، ٣٩٥، والسيرة ٣/١٥٧،
والخزانة ١١/١٥٦.

(١١٦) النقائض ١/٣٧٧، ٢/٧٤٦.

(١١٧) المصدر نفسه ١/١٩٨، وخاله حبش بن دلف من بني سعد بن ضبة، وهو الذي أسر عمرو بن الحارث بن
أبي شمر بن الحارث بن حُجر، وانظر نهاذج آخر من فخره بأخواله في المصدر نفسه ١/١٨٨، ٢٣٣، ٢٣٧،
٢٦٧.

وكان جرير بن عطية يواجه فخر الفرزدق بفخر مثله ؛ لأن فن النقائض يتطلب مثل هذه المقابلة والمقارعة ، وإن يكن جرير أقل إلحاحاً من الفرزدق على هذا اللون من الفخر، ومن فخره بأخواله قوله :

ما السَّيِّد حين ندبت خالك منهم كبني الأشد ولا بني النَّزَالِ
خالي الذي اعتسر الهذيلَ وخيلَه في ضَيْقٍ معترك لها ومجال
جثني بخالك يافرزدق واعلمنُ أن ليس خالك بالغاً أخوالي (١١٨)

ولما تنافر الققعقاع بن معبد بن زرارة وخالد بن مالك بن ربيعي إلى ربيعة بن جراد الأسلمي قال الققعقاع : «رَأْسٌ من أعمامي عشرة ومن أخوالي عشرة» ، (١١٩) ونحوه قول عبدالله بن أبي عيينة :

بأعمامي وأخوالي أقامت قريشٌ مُلْكَهَا وبها تُهاب
متى ما أذُعُ أخوالي لحرب وأعمامي لنائبة أجابوا (١٢٠)
وقال مَعْقِلُ بن خُوَيْلِد الهذلي :

بنو فالج قومي وهم ولتدوا أبي وخالي ثِيَالُ الضيف من آل فاتك
كأن امرءٌ كانوا همُ أهلِ أمِّه نَمَى رحله عند النجوم الشَّوَابِكِ (١٢١)

لكن علاقة العربي بأخواله لم تكن دائماً علاقة تصافٍ وود ، بل ربما أحسَّ منهم جفاءً أو ظلماً أو قعوداً عن النصرة والتأييد في مواقف الحاجة والضرورة ، عندئذٍ يعاتب

(١١٨) المصدر نفسه ٣٢٤/١ ونحوه في ١٠٢٣/٢ .

(١١٩) مجمع الأمثال ٢٥٨/٣ .

(١٢٠) الكامل للمبرد ٤٠/٢ .

(١٢١) شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبدالستار فراج ، مراجعة محمود محمد شاكر ، القاهرة ، مكتبة دار العروبة ،

مطبعة المدني ، ٤٠٠/١ ، وانظر نهاج آخر من فخرهم بأخوالهم في الأغاني ٢٣٤/٤ ، ١٣٦-١٣٧ ،

٢٠٦/٢٠ ، ٢٠٧ ومجمع الشعراء ص ٢٥٥ ، والشعر والشعراء ٤٠٦/١ ، والمؤتلف ص ١٠٥ ، والمعارف

ص ٥٨١ ، وعيون الأخبار ٦٤/٤ ، والخزانة ١٨/٢ ، ٣٨/٧ .

الرجل أخواله ، ولعل مما يمثل موقف اللوم والعتاب قول المتلمس الضبعي ، وقد لمزه خاله الحارث بن التوعم الشكري :

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي جعلت لهم فوق العرانيين ميسما
وما كنت إلا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما (١٢٢)

أما طرفة بن العبد فيعتاب أخواله وقد ظلموا أمه وردة حقها :
ما تنظرون بهال وردة فيكم صغر البنون ورهط وردة غيب
قد يبعث الأمر العظيم صغيره حتى تظل له الدماء تصيب
والظلم فرق بين حيي وائل بكر تساقوها المنايا تغلب
والصدق يألفه الكريم المرتجي والكذب يألفه الدني الأخيب (١٢٣)

وقال أمية بن أبي عائذ الهذلي لخاله إياس بن سهم :
فأبلغ إياساً أن عرض ابن أختكم رداؤك فاضطن حُسْنَه أو تبذل
فإن تك ذا طول فإني ابن أختكم وكل ابن أخت من مدى الخال معتلي
فكن أسداً أو ثعلباً أو شبيهه فمهما تكن أنسب إليكم وأشكل
وما ثعلب إلا ابن أخت ثعلب وإن ابن أخت الليث رثيال أشبل (١٢٤)

غير أن هذا العتاب للأخوال ربما تطور إلى لون من ألوان الهجاء ، حينما تستخدم الخصومة وتشتد العداوة ، وإذا كان حرمة بن عسلة المري رفض أن يهجو أخواله ، حينما طلب إليه المنذر بن ماء السماء أن يهجو الحارث بن جبلة فقال له : أبيت اللعن ، إنهم أخوالي ، وإنه لا ينبغي لي أن أهجوهم ، وقال في ذلك :

(١٢٢) ديوان المتلمس ، تحقيق حسن الصيرفي ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م ، ٢٩-٣٣ والأصمعيات ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، والحيوان ٣/١٣٦ ، والكامل للمبرد ١/٢٧٩ .
(١٢٣) ديوان طرفة ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، دمشق ؛ مجمع اللغة العربية ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م ، ص ١٠٧ ، والشعر والشعراء ١/١٨٧ ، ١٨٨ .
(١٢٤) شرح أشعار الهذليين ٢/٥٢٨ - ٥٣٠ ، والحيوان ١/٣٥٣ ، وعيون الأخبار ٣/٨٩ ، ٩٠ .

وغسان قوم هم والدي فهل يُنسينهم أن أغيبا
وإن لخالي مندوحة وإن عليّ بغيب رقيبا (١٢٥)
أقول: إذا كان هذا الشاعر قد رفض أن يهجو أخواله فإن من الشعراء نفراً قد
هجوا أخوالهم، بل إن منهم من أقذع في هجائهم، وقصة لبيد مع خاله الربيع بن
زياد العبسي مشهورة. (١٢٦)

وقد يأخذ الهجاء منحىً قليلاً فيكون للقبيلة التي ينتمي إليها الأخوال إمعاناً في
الإساءة والإيذاء، فالقتال الكلابي يُعير أخواله من بني العجلان بأنهم ليسوا أكفاء لبني
جعفر بن كلاب، وبأنهم لم يستطيعوا الأخذ بدماء قتلاهم منهم، فيقول:
إذا ما لقيتم عصبه جعفرية كرهتم بني اللكعاء وقّع النيازك
فلمستم بأخوالي فلا تصلني ولكنما أُمى لإحدى العواتك
قصار العماد لا ترى سرواتهم مع الوفد، جثامون عند المبارك
قتلتهم فلما أن طلبتُم عُقلتُم كذلك يؤتى بالذليل كذلك (١٢٧)
أما حبيب بن تميم المجاشعي، فكان قد ضاف قوماً من بني مجاشع يقال لهم
بنو القدّاح، وكانوا أخواله، فلم يحمدهم فقال:
طلبنا بني القدّاح إذ ذكروا لنا سواء بنو القدّاح والبلد القفر
وجدنا بني القدّاح كان قديمهم كبيت الزواني لا كفاء ولا ستر
ألا ليت أُمى لم تلدني ولم يكن لنا في بني القدّاح أم ولا صهر (١٢٨)

وأما منير بن صخر الراسي فلجأ إلى أخواله من بني قيس بن ثعلبة فلم يستره من
ابن زياد، فقال يهجوهم:

(١٢٥) الخزائن ٩١/١٠، ٩٢.

(١٢٦) الأغاني ٣٦٣/١٥ - ٣٦٥، ١٧/١٨٤.

(١٢٧) المصدر نفسه ١٧٧/٢٤ - ١٧٨.

(١٢٨) المؤلف والمختلف ص ٩٦.

وجدت بني قيس لثاماً أذلة كثير خناهم ضحكة في المحافل
وجدتهم لما أتيت بلادهم ضعافاً قواهم نهزة للقبائل (١٢٩)
والنمر بن تولب العكلي من أولئك الشعراء الذين لم يحمدا أخواهم فأهلبوهم
بالهجاء المقذع، ومن شعره فيهم قوله:

إذا كنت في سعد وأملك منهم غريباً فلا يغررك خالك من سعد
فإن ابن أخت القوم مصغى إناءه إذا لم يزاحم خاله بأب جلد (١٣٠)
وعروة بن الورد، كانت أمه نهديّة، وأحس أن أخواله ليسوا بذوي نباهة وشرف
فقال:

وما بي من عار إخال علمته سوى أن أخوالي - إذا نُسبوا - نهّد (١٣١)
وقيس بن مكشوح المرادي قال لخاله عمرو بن معديكرب الزبيدي، وكانا
متباغضين:

لعلك مؤعدى ببني زبيد وما جمعت من نوكى لثام (١٣٢)

وربما أخذ الهجاء منحلياً فردياً إذ يوجه الهجاء إلى الخال أو الأخوال دونها إشارة إلى
قبائلهم، ومن ذلك قول أبي سلمى والد زهير، في خاله أسعد المرى وابنه كعب، وكان
حمل أمه من عندهما وفارقهما:

ولتغدون إبل مجنبّة من عند أسعد وابنه كعب
الأكلين صريح قومهما أكل الحبارى برغم الرطب (١٣٣)

(١٢٩) معجم الشعراء ص ٤٧٦ وانظر نهاذج آخر من مثل هذا الهجاء في الكامل للمبرد ١/ ٣٣٨ والمؤتلف ص ٥٤.

(١٣٠) الحيوان ٣/ ١٣٧، والشعر والشعراء ١/ ٣١٠، وعيون الأخبار ٣/ ٨٩.

(١٣١) ديوان عروة، تحقيق عبدالمعين الملوحي، دمشق، نشر وزارة الثقافة والإرشاد، بدون تاريخ، ص ٤٧.

(١٣٢) معجم الشعراء ص ٣٢٣ وارجع إلى نظائر لهذه النصوص في جهرة النسب لابن الكلبي، تحقيق ناجي حسن،

بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ص ١٨، والسيرة ٢/ ١١٧.

(١٣٣) الأغاني ١٠/ ٢٩٣، والشعر والشعراء ١/ ١٤٣.

ومن ذلك قول عطف بن نشة الشيباني في خاله عدي بن ضب :
 عَدِّي بن ضَب من تكن أنت خاله أخا أمه تدلج بلؤم ركائبه (١٣٤)
 أما ابن ميادة فقال في خاله عقبة بن كعب بن زهير:
 إن تك خاليا قُبِحَتْ خالا فأنت الخال تَنْقُصُ لا تزيد
 فيوماً في مزينة أنت حُرٌّ ويوماً أنت مَحْتَدُك العبيد
 أحق الناس أن يَلْقَى هواناً ويؤكل ماله العبدُ الطريد (١٣٥)
 صور من علاقات الأخوال بأبناء الأخوات :

على أن من الأخوال من عاتب أبناء الأخوات - قَرْنَيْنِ أو بَعْدَنَ - لتقصير بحقه من قبلهم، أو لجفاء أو لقطيعة، فأعشى همدان كان من أخوال ابن الأشعث وله معه مواقف محمودة، ولما صار ابن الأشعث إلى سجستان جبي مالا كثيراً، فسأله أعشى همدان فمنعه، فقال :

نحن وَلَيْنَاكَ فلا تَحْجُفْنَا والله قد وَصَّاكَ بالوالد
 إن تك من كندة في بيتها فإن أخوالك من حاشد
 شم العرانيين وأهل الندى ومنتهى الضيفان والرائد
 فارتح لأخوالك واذكرهم وارحمهم للسلف العائد
 فإن أخوالك لم يبرحوا يُرْتُون بالرِّفْدِ على الرافد
 لم ييخلوا يوماً ولم يجبنوا في السلف الغازي ولا القاعد (١٣٦)

وقال عمرو بن معديكرب في ابن أخته قيس بن المكشوح المرادي :
 أريد جِبَاءَهُ ويريد قتلي عَذِيرَكَ من خليلك من مراد (١٣٧)

(١٣٤) معجم الشعراء ص ٢٩٩ .

(١٣٥) الأغاني ٢/ ٢٦٨ .

(١٣٦) المصدر نفسه ٦/ ٤٨ ، ٤٩ .

(١٣٧) الخزائن ١٠/ ٢١٠ .

وعاتب الفرزدق الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي بقوله :
أحارث داري مرتين هدمتها وكنت ابن أخت لا تخاف غوائله (١٣٨)
وكتب الأحوص إلى عمر بن عبدالعزيز، وكان استأذنه في القدوم إليه ليمدحه فأبى
عليه :

فكيف ترى للعيش طيباً ولذة وخالك أمسى مؤثقاً في الحبائل (١٣٩)
غير أن من الأخوال من فخر بمن هم خوولة له ، لأنه كان في مستوى الرجاء
والآمال ، فحسان بن ثابت - رضي الله عنه - يقول :
ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالاً وأكرم بنا ابنهما (١٤٠)
وحين سأل المنذر بن ماء السماء ذا البردين عامر بن أحيمر بن بهدلة : كيف أنت
في أهل بيتك ؟ قال : «أنا أبوعشرة، وعم عشرة، ونخال عشرة» (١٤١).

ومن الأخوال من مدح أبناء الأخوات ؛ لأنهم كانوا حفيين بهم ، راعين لحق
خوولتهم ، ومن أمثلة ذلك قول أبي طالب في شأن زهير بن أبي أمية المخزومي الذي
نقض صحيفة قريش ، وقد تقدمت (١٤٢) وقال سلمة بن الخرشب يمدح بني زياد
العبيسي من أخته فاطمة ، يخاطب قوماً من بني عبيس أرادوا حربه :
أتيتم إلينا تُرجفون جماعةً فأين أبو قيس وأين ربيع
وذاك ابن أخت زانه ثوب خاله وأعمامه الأعمام وهو نزيع (١٤٣)
ومن الأخوال من رثى ابن أخته بعد موته ألماً له وأسى عليه ، ومن هؤلاء أبوزبيد
الطائي الذي رثى ابن أخته اللجلج الطائي بقوله :

(١٣٨) النقائض ٢/٦٠٧ ، ٦٨٣ قوله : ابن أخت : أراد أساء بنت محزة أم ولد هشام بن المغيرة ، وهي نهشلية .

(١٣٩) الأغاني ٩/٦٦ ، والخزاة ٣/٣٤٠ .

(١٤٠) ديوان حسان ١/٣٥ ، والحيوان ٧/١٤٨ .

(١٤١) النقائض ٢/٧١٤ ، ونشوة الطرب ١/٤٣٩ .

(١٤٣) الأغاني ١٧/١٨٢ .

(١٤٢) أنظر ص ١٤ .

كان عني يرد دَرؤُكَ بعد الله شَغَبَ المُسْتَضْعِبِ المِرْد
من يكدني بسيء كنت منه كالشَّجَا بين حلقه والوريد(١٤٤)
ورثي عبد مناف بن ريع الهذلي دُبَيَّةَ السلمي، وكانت أمه هذلية، فقال:
فيا لهفتي على ابن أختي لهفَةً كما سَقَطَ المنفوسُ بين القوابل
فعيني ألا فابكي دُبَيَّةَ إنه وصولٌ لأرحام ومِعْطَاءُ سائل(١٤٥)
ومن الأخوال من جاور أبناء الأخوات عند الشعور بالخطر، وقد يكون ذلك على
مستوى القبائل كما فعلت بنو عبس حين خرجت من ديار بني حنيفة في اليمامة ولحقت
ببني عامر بن صعصعة، ونزلوا على بني شكل من بني الحريش، وهم بنو أختهم،
كانت أمهم عيسية، فجاوروهم(١٤٦).

المدح بالأخوال والهجاء بهم:

والعرب تمدح بنباهة الخال وشرفه وعلو منزلته، لأن للخزولة - كما قدمنا - مكانة في
نفوسهم، وأهمية في مجتمعاتهم، ذلك المجتمع القبلي الذي تركز معايير الاجتماعية
بالدرجة الأولى على شرف الأحياب، ونقاء الأنساب، ولهذا فإنهم أول ما يتناولون
في الرجل أعراقه وأصوله من قبل أبويه.

ومن المدح بالأخوال ما يقترن بالمدح بالآباء، ومن ذلك مدح حسان بن ثابت
لربيعة بن عامر، ملاعب الأسنة:
أبوكَ أبو الفعال أبو براء وخالك ماجد حَكَمُ بن سعد(١٤٧)
وقول أبي نعيمة النمري يمدح رجلاً من رهطه:

(١٤٤) الخزانة ٧٦/٩.

(١٤٥) شرح أشعار الهذليين ٦٨٥/٢، ٦٨٦.

(١٤٦) النقائض ٩٩/١.

(١٤٧) ديوان حسان ٢٣٢/١، والسيرة ١٩٦/٣.

أبوك زعيم بني قاسط وخالك ذو الكبش يقرى الرّخم (١٤٨)
وربما قرنوا المدح بالأخوال بالمدح بالأعمام لأنها طرفا الرجل، ومن أمثلة ذلك ما
قاله عبدالله بن الزّعرى يمدح العاصي بن منبه:
والعاصي بن منبه ذامرةً ربحاً تميماً غير ذي أوصام
تنمى به أعرافه وجدوده ومآثر الأخوال والأعمام (١٤٩)
ومن ذلك قول جرير يمدح هشام بن عبد الملك:
لك المتخيران أباً وخالاً فأكرم بالخزولة والعموم (١٥٠)
وقال أبو فرعة الكنانى:
يأمن نعمان نوليناً قد ينفع النائل الطفيف
أعمامها الصيد من لؤي حقاً وأخوالها ثقيف (١٥١)
وربما مدحوا بالأخوال دون غيرهم، ومن ذلك قول ابن مقبل:
جم المخارج أخلاق الكريم له صلت الجبين كريم الخال مغوار (١٥٢)
وكما مدح العرب بالأخوال ذموا بهم، وهجوا مناوئهم ومنافريهم بأخوالهم، ولولا
أهمية كرم الخال ونباهته عندهم لاقتصروا على الهجاء بالآباء والأعمام، ولعل العرب
لاحظوا في هذا جانب نزوع الرجل إلى أخواله في الملامح والقرائح والطباع كما أسلفنا،
فهم إذا ذموا الرجل بالتعرض لأخواله، فكأنما يريدون بذلك نزوعه إلى أخواله في هذه
الصفات الممقوتة في الخال.

(١٤٨) الأغاني ١٣/١٤٠.

(١٤٩) السيرة ١٦/٣ وقال ابن هشام: وتروى للأعشى بن زرارة بن النباش.

(١٥٠) ديوانه، تحقيق نعمان محمد طه، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م، ١/٢١٨، والسيرة ١/٩٦، والكامل للمبرد ١٣٩/٢.

(١٥١) الأغاني ٨/٣٢٦، وانظر أمثلة أخرى من المدح بالعمومة والخزولة في المصدر نفسه ١٦/٢٧٧، ٢٤/١٩٠، والسيرة ٣/١٥٩، والكامل للمبرد ٢/١٨، والحيوان ٣/٩٣.

(١٥٢) العمدة ٢/١٨٩، ونحوه في الخزانة ٢/٢٣٧.

وكما كان المدح بالخؤولة مقترناً بالمدح بالأبوة تارة، وبالعمومة تارة، وبإفراد الأخوال بالمدح أخرى، فكذلك الحال بالنسبة للهجاء بالأخوال ومن أمثلة هجائهم بالخؤولة مع هجائهم بالأبوة قول جهنم البكري يهجو الأعشى:

أبوك قتيل الجوع قيس بن جَنْدَلٍ وخالك عَبْدٌ من خُمَاعَةٍ راضِعُ (١٥٣)

وقول فرات بن حيان العجلي لحسان بن ثابت:

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخيرٍ من أبيك وخالك (١٥٤)

وكان عمرو بن الأهتم، بعد أن أثنى على الزبرقان بن بدر، ذمه بقوله: «إنه لزمروءة، ضيق العطن، أحق الوالد، لثيم الخال». (١٥٥)

أما الهجاء بالخؤولة مقروناً بالهجاء بالعمومة فمنه قول الفرزدق يهجو جريراً:

كم خالة لك يا جرير وعمّة فدعاء قد حَلَبْتُ عليّ عِشاري (١٥٦)

وقول جرير يهجو خالداً العبدي:

كم عمّة لك يا خليل وخالة خضرٍ نواجذها من الكُرّاث

نبتت بمنبته فطاب لريحها ونأت عن القيصوم والجثجاث (١٥٧)

وربما أفردوا الأخوال بالهجاء بهم، كما قال حسان بن ثابت لخالد بن أسيد أو لأسيد

بن أبي العيص:

ألا أبلغا عني أسيداً رسالةً فخالك عبد بالشراب مجرب (١٥٨)

وقول اللعين المنقري في هجائه الفرزدق:

(١٥٣) الأغاني ١٠٨/٩.

(١٥٤) معجم الشعراء ص ٣١٧، ويقال هي لأبي سفيان بن الحارث.

(١٥٥) العقد الفريد ٢٦٦/١، ومجمع الأمثال ٩/١.

(١٥٦) النقااض ٣٣٢/١، ومجمع الأمثال ٥٢٠/٣، والخزانة ٤٩٣/٦.

(١٥٧) ديوان جرير ١٠٢٤/٢.

(١٥٨) ديوان حسان ٣٨٣/١.

وما كان الفرزدق غير قين لثيم خاله للؤم تالي (١٥٩)

وقول الفرزدق في هجاء جرير:

إن ابن بني كليب خاله يوم التفاضل ألام الأخوال (١٦٠)

وكان جرير كثير الهجاء للفرزدق بخؤولته؛ لأن الفرزدق كثير الاحتفاء بأخواله من بني ضبة كما سلفت الإشارة إلى ذلك في موضعه من هذا البحث، ولذا فإن جريراً كان كثير الإلحاح على ثلب أخوال الفرزدق وذمهم، ومن ذلك قوله:

كان الفرزدق إذ يعودُ بخاله مثل الدليل يعودُ تحت القرمل
وافخر بضبة إن أمك منهم ليس ابن ضبة بالمعم المَخُولِ (١٦١)

وعاتب عمر بن عبدالعزيز، رضي الله عنه، رجلاً من قريش، خاله عقيل بن عُلفَة، فقال له: «قبحك الله أشبهت خالك في الجفاء، فبلغت عقيلًا، فقال لعمر: ما وجدت لابن عمك شيئاً تعيره به إلا خؤولتي». (١٦٢)

وبعد، فلعل القارئ لهذا البحث يلاحظ فيه كثرة استشهادي بالنصوص، وهذا عائد إلى أنني قد حرصت على أن أنقل صورة صادقة عن هذه العلاقة في إطارها الصحيح من خلال ما قالته العرب وحدثت به، دون لجوء إلى التعليقات المسهبة على هذه الاستشهادات. وليست مادة هذا البحث هي كل ما ظفرت به في هذا الموضوع، بل إن لديّ قدراً صالحاً من نظائر هذه النصوص التي أوردتها لتأليف كتيب في الخؤولة عند العرب، لكنني اصطفيتُ من كل ذلك تلك النصوص الدالة، التي ترسم معالم هذه العلاقة الاجتماعية دونها عناية بما هو أقل منها دلالة، وأرجو أن أكون قد وفقت في تناول هذا الموضوع - وما توفيقي إلا بالله . .

(١٥٩) الخزائن ٢٠٨/٣.

(١٦٠) النقائض ٢٧٨/١.

(١٦١) المصدر نفسه ٢٢٥/١ ولهذا الهجاء نظائر في ١٤٧/١، ١٠٤٠/٢، والاشتقاق ص ١٩٢.

(١٦٢) الأغاني ٢٦١/١٢.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی